ما هو الإسلام؟

كتبه غريب بتاريخ الأربعاء ٢٣ رمضان ١٤٤٢

إذا سألت أحدهم قائلا ما هو الإسلام:

سيجيبك بأن الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا اللّه, وأن محمداً, رسول اللّه صلى اللّه عليه, وإقام الصلاة, وإيتاء الزكاة, وصوم رمضان, وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا, معتمداً في ذلك على حديث جبريل الشهير, وحديث الأعرابي الذي سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن الإسلام.

فهل عرفت ما هو الإسلام؟

في الغالب أنت لا تزال كما كنت قبل طرح السؤال بالنسبة للركن الأول, فأنت تفهم معنى إقامة الصلاة, وإيتاء الزكاة, ومعنى صوم رمضان, ومعنى حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا, ولكن هل تفهم معنى:

شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه؟

ما معنى الشهادة, وما معنى الإله, وما معنى شهادة أن محمدا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؟

كل هذه الأسئلة مهمة حتى تدرك حقيقة الإسلام, وأنه ليس مجرد كلمة ترددها على لسانك.

لكن مهلا, من قال أنه يجب أن نعرف معان هذه الكلمات, وهل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم شرح معان هذه الكلمات؟!

هو فقط قال له:

تشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه

ولم يتطرق لكل هذه التفاصيل التي أتيت بها, فهل أنت أعلم من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم, أم سوف تبين شيئا لم يبينه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؟

جوابي على ما سبق هو ما يلي:

أولا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان يخاطب عرباً أقحاحاً، لذلك هم يفهمون من لسانهم معاني الكلمات الإسلام، والإله والشهادة، لذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ليس محتاجاً أن يبين لهم معاني هذه الكلمات.

بينما أنت أعجمي، لا تعرف معانيها في لسان العرب، لذلك حتى تفهم خطاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يجب أن تعي معان هذه الكلمات جيدا كما وعاها الصحابة من لسانهم.

ثانيا ينبغي أن ندرك أن الوحي نزل بلسان العرب، يقول ربنا عز وجل:

﴿ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ ﴾

[الشعراء: ١٩٥]

ففهم القرآن والحديث بدون الرجوع إلى لسان العرب هو أمر مستحيل، صاحبه يريد أن يفرغ الوحي من معناه، كما حدث مع أغلب الناس، حين جهلوا معاني لا إله إلا اللّه، فاعتبروها مجرد ألفاظ خاوية من المعنى، يكفي أن يكررها المرء دون فهم ليكون مسلماً، كما بينت في مقال سابق حول الموضوع.

بعد معرفة ما سبق تعال نتعلم معان الكلمات في لسان العرب، حتى نكون في مستوى ذلك الأعرابي حين سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فنفهم حقيقة الإسلام وذلك من خلال:

- معنى الإسلام
- معنى الشهادة
- معنى كلمة الإله
- معنى شهادة أن لا إله إلا اللّه
- معنى شهادة أن محمداً رسول اللّه
- ما هو الإسلام ؟

معنى الإسلام

قبل الحديث عن ما هو الإسلام, ينبغي معرفة معنى كلمة الإسلام معرفة دقيقة في لسان العرب, حتى نكون بنفس مستوى العرب لما سمعوها, لأنه للأسف الكثير من الناس يعتبر كلمة الإسلام, اسماً جامداً علماً على الدين الذي أتى به رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم, دون أن يكون له معنى, ولذلك عند ترجمته إلى لغات العجم يبقى كما هو, مثلا في الألسنة اللاتينية يسمى إسلام "islam" دون ترجمة.

الإسلام مشتق من فعل أَسلَمَ وهو بمعنى سلَّم, ومنه أسلم الروح, أي سلّمها

ويعني أيضاً أعطى وناول, مثل أسلم الشيء إليه, دفعه وأعطاه, ومنه أسلمه للعدو, أي دفعه إليهم.

وهو أيضاً بمعنى إنقاد, وخضع مثل قولنا: أسلم أمره لله أي خضع لله, وفوض أمره إليه.

فالإسلام يعني كل هذه المعاني مجتمعة, فهو تسليم النفس لله عز وجل وخضوعها له وانقيادها, قال ربنا عز وهو وجل:

﴿ وَمَن أَحسَنُ دينًا مِمَّن أَسلَمَ وَجهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبراهيمَ خَليلًا ﴾

[النساء: ١٢٥]

فالإسلام بهذا المعنى كان مفهوماً عند العرب, يعرفونه من لسانهم, ولذلك حين يسألون رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم عن الإسلام, لا يسألونه عن معنى كلمة الإسلام في لسانهم, لأنهم يعرفونه, وإنما يسألون عماذا يتجلى فيه الإسلام, بمعنى كيف يسلمون لله سبحانه, وهذا ما سوف نعرفه إن شاء اللّٰه لاحقا في هذه السطور.

معنى الشهادة

الشهادة من فعل شَهِدَ, وهي الإخبار بشهود موضوع الشهادة,فنقول أَدى الشَّهَادَةَ أَمَامَ الْمَحْكَمَةِ : الإِخْبَار بِمَا رَأَى, وَالإِقْرَار بِمَا عَلِمَ عَنْ يَقِينٍ وَبِلاَ نُقْصَانٍ أَوْ زِيَادَةٍ.

وهي إما أن تكون شهادة حق, إذا كانت عن علم, قال ربنا عز وجل:

﴿ وَلا يَملِكُ الَّذينَ يَدعونَ مِن دونِهِ الشَّفاعَةَ إِلّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُم يَعلَمونَ ﴾

[الزخرف: ٨٦]

وإما أن تكون شهادة زور، وهي التي لا تكون بعلم.

معنى كلمة الإله

تشتق كلمة الإله من فعل أَلَهَ وهو بمعنى تعبد، قال الجوهري في تاج اللغة

أله بالفتح إلاهة، أي عبد عبادة. ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (ويذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة. قال. وعبادتك. وكان يقول: إن فرعون كان يعبد

في الارض

ومنه قولنا " الله " وأصله إلاه على فعال، بمعنى مفعول، لأنه مألوه أي معبود، كقولنا: إمام فعال بمعنى مفعول، لانه مؤتم به

وقال مجد الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط:

أله إلاهة وألوهة وألوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة، واختلف فيه على عشرين قولا ذكرتها في المباسيط، وأصحها أنه علم غير مشتق، وأصله إله، كفعال، بمعنى مألوه.

وكل ما اتخذ معبودا إله عند متخذه، بين الإلاهة والألهانية، بالضم.

والإلاهة: ع بالجزيرة، والحية، والأصنام، والهلال، والشمس، ويثلث، كالأليهة.

والتأله: التنسك، والتعبد.

والتأليه: التعبيد.

وأله، كفرح: تحير،

وـ على فلان: اشتد جزعه عليه،

وـ إليه: فزع، ولاذ.

وألهه: أجاره، وآمنه.

فيصبح معنى الإله إذاً هو المعبود والمجير، والملاذ، والمحتجب الذي يتحير فيه المرء.

أي الإله هو صاحب السلطة العظيمة الذي تخضع له الناس وتطيع، فهذا هو معنى المعبود، والرب، وهو أيضا الملاذ عند الكرب، والمجير مما يجار منه، وهذا لسلطته على خلقه سبحانه.

واتخذ العرب آلهة من أجل اعتقادهم أن لهم سلطة ما على الكون لينصروهم، قال ربنا عز وجل:

﴿ وَاتَّخَذوا مِن دونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكونوا لَهُم عِزًّا۝كَلّا سَيَكفُرونَ بِعِبادَتِهِم وَيَكونونَ عَلَيهِم ضِدًّا ﴾

[مريم: ٨١-٨٢]

فالهدف من عبادتهم هو طلب القوة منهم، وذلك لاعتقادهم أنهم أقرب إلى الله منهم، فيتخذونهم شفعاء عند الله، يقربونهم من الله، كما أخبر ربنا عز وجل عنهم:

﴿ وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللَّهِ قُل أَتُنَبِّئونَ اللَّهَ بِما لا يَعلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الأَرضِ سُبحانَهُ وَتَعالى عَمّا يُشرِكونَ ﴾

[يونس: ١٨]

ويقول أيضاً:

﴿ أَلا لِلَّهِ الدّينُ الخالِصُ وَالَّذينَ اتَّخَذوا مِن دونِهِ أَولِياءَ ما نَعبُدُهُم إِلّا لِيُقَرِّبونا إِلَى اللَّهِ زُلفى إِنَّ اللَّهَ يَحكُمُ بَينَهُم في ما هُم فيهِ يَختَلِفونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهدي مَن هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ ﴾

[الزمر: ٣]

معنى شهادة أن لا إله إلا الله

بعد معرفة معان الشهادة، والإله، يسهل إن شاء الله معرفة معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فهي لغةً تعني الإقرار عن علم أنه لا إله بحق يستحق أن يعبد إلا الله، فهو

وحده من يجير ولا يجار عليه، وهو وحده الخالق المنعم المتفضل بآلاءه، ملاذ كل مكروب، يقول ربنا عز وجل:

﴿ قُل لِمَنِ الأَرضُ وَمَن فيها إِن كُنتُم تَعلَمونَ۝سَيَقولونَ لِلَّهِ قُل أَفَلا تَذَكَّرونَ۝قُل مَن رَبُّ السَّماواتِ السَّبعِ وَرَبُّ العَرشِ العَظيمِ۝سَيَقولونَ لِلَّهِ قُل أَفَلا تَتَّقونَ۝قُل مَن بِيَدِهِ مَلَكوتُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ يُجيرُ وَلا يُجارُ عَلَيهِ إِن كُنتُم تَعلَمونَ۝سَيَقولونَ لِلَّهِ قُل فَأَنّى تُسحَرونَ ﴾

[المؤمنون: ٨٤-٨٩]

هذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله في اللغة، أما اصطلاحا فهي تعني عبادة الله وحده وحده، أي العمل بمقتضى معناها اللغوي، فالذي يقر بأنه لا إله إلا الله بلسانه، وقلبه، ولا يعمل بمقتضاها، لم يأت بشهادة أن لا إله إلا الله على وجهها المطلوب، نظرا لكون الإيمان المطلوب هو العمل وليس مجرد الإقرار كما رأينا سابقا في معنى الإيمان.

معنى شهادة أن محمدا رسول الله

إن المعنى اللغوي لشهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الإقرار بكون محمد رسول من عند الله فعلا برسالة هي الوحي قرآنا وسنة، ويشترط في صحتها العلم، المنافي للجهل، بحيث لا تكون تقليدا كما بينا في شرط لا إكراه في الدين.

أما المعنى الشرعي لشهادة أن محمدا رسول الله صلى الله، هو اتباعه حصرا وطاعته، والذي لم يأت به لم يأت بشهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجه المطلوب، قال ربنا عز وجل:

﴿ قُل إِن كُنتُم تُحِبّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعوني يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَاللَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ۝قُل أَطيعُوا اللَّهَ وَالرَّسولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكافِرينَ ﴾

[آل عمران: ٣١-٣٢]

وقد فصلت وتوسعت في هذا في بحث بعنوان معنى شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ما هو الإسلام ؟

الآن بعد أن عرفنا معنى شهادة أن لا إله إلا الله أو أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم, صار بإمكاننا معرفة ما هو الإسلام, فالإسلام هو:

قرار بتسليم النفس لله عز وجل وحده, يأخذه المرء طواعية:

﴿ إِذ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العالَمينَ ﴾

[البقرة: ١٣١]

بموجبه يكون كل شيء مهما كان, كبُر أم صغُر لله وحده لا شريك له, يقول الحق سبحانه:

﴿ قُل إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحيايَ وَمَماتي لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ۝لا شَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المُسلِمينَ ﴾

[الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

النفس كلها لله, والمال له سبحانه, يقول ربنا عز وجل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشتَرى مِنَ المُؤمِنينَ أَنفُسَهُم وَأَموالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ فَيَقتُلونَ وَيُقتَلونَ وَعدًا عَلَيهِ حَقًّا فِي التَّوراةِ وَالإِنجيلِ وَالقُرآنِ وَمَن أَوفى بِعَهدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاستَبشِروا بِبَيعِكُمُ الَّذي بايَعتُم بِهِ وَذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظيمُ ﴾

[التوبة: ١١١]

وذلك بحيث لا يكون لنا رب نطيعه, ونخضع له سواه سبحانه:

﴿ قُل أَغَيرَ اللَّهِ أَبغي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ وَلا تَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ إِلّا عَلَيها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرى ثُمَّ إِلى رَبِّكُم مَرجِعُكُم فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم فيهِ تَختَلِفونَ ﴾

[الأنعام: ١٦٤]

نتلقى أوامره سبحانه من رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أتانا من عنده, يقول ربنا عز وجل:

‹ قُل أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّما عَلَيهِ ما حُمِّلَ وَعَلَيكُم ما حُمِّلتُم وَإِن تُطيعوهُ تَهتَدوا وَما عَلَى الرَّسولِ إِلَّا البَلاغُ المُبينُ ›

[النور: ٥٤]

ونحن في كل ذلك مخلصين الانقياد له سبحانه:

‹ قُلِ اللَّهَ أَعبُدُ مُخلِصًا لَهُ ديني۝فَاعبُدوا ما شِئتُم مِن دونِهِ قُل إِنَّ الخاسِرينَ الَّذينَ خَسِروا أَنفُسَهُم وَأَهليهِم يَومَ القِيامَةِ أَلا ذلِكَ هُوَ الخُسرانُ المُبينُ۝لَهُم مِن فَوقِهِم ظُلَلٌ مِنَ النّارِ وَمِن تَحتِهِم ظُلَلٌ ذلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ يا عِبادِ فَاتَّقونِ ›

[الزمر: ١٤-١٦]

لا نستقبل أوامراً من غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو وحده من أتانا، ورسالته محصورة في القرآن والسنة، من عمل بعمل لم يأت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد

وعليه فهو ليس من الإسلام، وصاحبه غير مطيع لله عز وجل وحده، مشرك والعياذ بالله.